

عمانويل – الله معنا (متى 1: 1 - 25) الأحد قبل الميلاد

لقد تمّ ما ورد في إنجيل متى محققاً ما سبق أن تكلم عنه النبي أشعيا باسم الله، الذي قال: "ها هي العذراء تحبل و تلد ابناً و تسميه عمانوئيل، الذي تفسيره الله معنا " .

" ليس انساناً معنا " و لكن " الله معنا " . يبدأ الإنجيلي متى إنجيله " بحضور الله معنا " و يُنهيه بالوعد بأن " الحضور سيبقى معنا " . يقول: " ها أنا معكم إلى منتهى الدهر " (20: 20).

إنه لجد محزن أن يفكر بعض المسيحيين بالمسيح بصفة الماضي. المسيح الذي كان، أو بصفة المستقبل، المسيح الذي سيكون . نادراً ما نفكر به في الحاضر: " الله معنا " . إن الحاجة إلى حضوره اليوم أكثر من أي وقت مضى، في وقت العلمنة الملحدة و التي في أساس تعليمها نزع فكرة و تعليم الأناجيل كلياً من حياتنا. يقول لنا الإنجيلي يوحنا : " و أصبح الكلمة جسداً و سكن فينا " (الإصحاح الأول) يعني هذا الكلام أن عمانوئيل " الله معنا " ليس في مكان ما غير معروف، ليس على كوكب آخر، و لكن ههنا و معنا، يشاركنا أحزاننا، يساعدنا على تحمل أثقالنا، لأمساً ضعافتنا، مطهراً إيانا من خطايانا، و مُظهراً لنا طريق الحياة التي تقودنا إلى المبادئ الأزلية.

يُقال بأن البابا بيوس الثاني عشر كان يستعمل تلفوناً يمكنه أن يتصل به في الآخر فقط. ما كان بإمكان أي كان أن يتصل به. الكثيرون يدعون بأنها هذه هي مشكلتهم الحياتية مع الله أيضاً. غالباً ما يعجزون عن الإتصال به، يجدوه، يتكلموا معه. يبدو الله بعيداً عنهم، و غير واقعي ثم واقعياً. كل هذه الأمور قد تغيّرت بالميلاد، عندما نزل الله إلى أرضنا و أسس خطأً ذي طريقين بينه و بين الإنسان، فأصبح بإمكاننا - بالمسيح ابنه الوحيد - أن نتصل به مباشرة و ذلك بالصلاة و المناولة و قراءة كلمته و عيشها و بكنيستته.

يحمل الميلاد رسالة تعزية لمن يعيشون بوحدة. إنها رسالة عمانوئيل (حضور الله معنا) . ليس من نحن، أو أين نحن، لكن المهم ان نقرب منه بصلاة من القلب. يُدعى المسيحي ليُشارك فرح حضور الله مع الآخرين. يجد المؤمن مثلاً شخصاً وحيداً تتعمق وحدته خلال موسم الأعياد. قم بزيارته، اتصل به على الهاتف، اظهر له بأنك مهتم كما اهتمّ المسيح. ستجد فرحاً عميقاً و سلاماً في قلبك. هذا ما ستحصل عليه. " عمانوئيل " الله معنا.

إن وعد الله بالحضور عندما نطلبه، يساعد المسيحي ليعيش حياة " الجماعة " . هذا ما نراه في حياة الرسول بولس الذي عاش حياة " نحن " . " أستطيع أن أفعل كل شيء بالمسيح الذي يقويني " (أنا و المسيح). سوف لن يتمكن أي مسيحي من بلوغ أهدافه أو الوصول إلى كل ما يبتغيه إن لم يتسلم القوة من الله، و أن يعيش حياة " نحن " مع المسيح.

المدمن على الكحول الذي تخلص من إدمانه بواسطة AA يعيش حياة " نحن " الله و انا. فقد تعلم ليؤمن و يردد : لا أستطيع أن أتحرق من الكحول، يا سيد، و لكن يمكننا أنت و أنا " نحن " عمانوئيل - الله معنا.

سئل أحد المسيحيين: كيف يمكن أن تعيش حياة حسنة؟ بالصلاة جاء الجواب.
ماذا تعني بالصلاة؟ أضاف السائل.

أجابه المسيحي، منذ زمن بعيد و حياتي في حالة فوضى لدرجة قاربت على الإنتحار. صليت للرب، فاستمع لي و قال: يا ابني! ليس هناك من شيء لا يمكننا أنا و أنت أن نعمله. (عمانوئيل - الله معنا).

كان أحد الجراحين، و قبل أن يأخذ السكين ليبدأ أي عملية جراحية يحني رأسه و يصلي أولاً. مرة راقب أحد المراسلين ذلك فسأله: " هل تصلي دائماً قبل كل عملية؟ " أجاب الجراح ببسمة: "دائماً، لأنني أعرف نوع الصعوبات التي يمكن أن أواجهها. ففي تلك البرهات عليّ أن أسلم للجراح الأعظم سائلاً أن يكمل بنفسه العملية. في مرات عديدة و بينما أجد نفسي في نهاية معرفتي البشرية لمواجهة الصعوبات، سلمت الأمر لله الذي أكمل من حيث توقفت. عمانوئيل - الله معنا.

هدية الميلاد العظمى للمؤمنين هي طريقة أخلاقيات و لا فلسفة، إنها الله نفسه.

المسيحية هي أكثر بكثير من مجرد سلسلة من الوصايا. إنها أكثر من أي شيء آخر: حضور عمانوئيل - الله معنا. الله معنا في الصعوبات ليساعدنا للتخلص منها. معنا في الحزن، ليمسح دموعنا. معنا في ضعافتنا، ليقويننا. معنا في الموت، ليعطينا الثقة. نعم إنه معنا ما بعد الموت، في مكان حيث " لم تره أعيننا، و لم تسمع به آذاننا، و لم يدخل إلى قلب إنسان ما هياه الله للذين يحبونه ".

" ها انا أحمل لكم خبراً هاماً جداً و الذي سيكون لكل الشعب: ها هي العذراء تحبل و تلد ابناً و تُسميه عمانوئيل الذي يعني الله معنا ".

آمين

المتروبوليت بولس صليبيا